الرؤية النقدية عند الشيخ عبد الحميد بن باديس

The critical vision of Sheikh Abdel Hamid Ben Badis

ط/د: العرباوي محمد

المركز الجامعي مغنية (الجزائر)، Larbaouimed1977@gmail.com

د/ فاطمة جوادي

المركز الجامعي مغنية (الجزائر)، djouadifatima13@gmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2025/ 07 /11	2025 / 08 / 09	2025 / 09 / 01

ملخص البحث

يعدّ الشيخ عبد الحميد بن باديس (1889-1940) أحد الشخصيات الفكرية والثقافية التي حفل بها تاريخ الجزائر الثقافي الحديث ، وقد شكّلت رؤاه الإصلاحية مثار اهتمام لدى عديد الدارسين الذين حاولوا تأطير مقولاته والحفر في مرجعياته الفكرية، غير أنّ الدراسات التي تناولت النقد الجزائري الحديث لم تقف كثيرا على جهوده النقدية، وذلك باعتبار أنّ ما أفاد به الشيخ في مضمار النقد الأدبي لا يعدو بعض التعليقات السّطحية حول مرتكزات النصوص اللغوية والأسلوبية أو أثرها الانطباعي، وهذا ما يمثّل قصورا في الرؤية حول منجزه النّقدي ، ذلك أنّ طروحاته النقدية في حقيقتها أعمق من مجرّد التمثّل الانطباعي الذوقي أو التعليق اللغوي.

ومن خلال هذه الورقة البحثية سنحاول الوقوف على أهمّ طروحاته النّقدية، معرّجين على دراسة منهجه النقدي الذي يجمع بين ما هو أخلاقي وإيديولوجي، في مزج بين المؤدّى النظري والإجراء التطبيقي في أحيان عدّة.

الكلمات المفاتيح: الرؤية النقدية – المنهج النقدي – المعيار الأخلاقي – الرسالة الأدبية – ابن باديس.

Abstract

Sheikh Abdelhamid Ben Badis (1889–1940) isconsidered as one of the intellectual and cultural figures celebrated in the modern cultural history of Algeria. His reformist visions have attracted the interest of many scholars who have attempted to frame his statements and explore his intellectual and visionary references. However, modern Algerian criticism studieshave not focused much on his critical efforts, assuming that what the Sheikh has contributed in the field of literary criticism amounted to only some superficial comments on the linguistic and stylistic foundations of texts or their impressionistic effects. This represents a limited perspective on his critical achievement, as his critical propositions are in fact deeper than mere impressionistic taste or linguistic commentary.

Through this research paper, we will attempt to highlight his most important critical propositions, while also examining his critical methodthatcombinedboth a moral and an ideological approach, blending theoretical output with practical application on several occasions.

keywords: Critical Vision – Critical Method – Moral Criterion – Literary Mission - Ibn Badis.

1. مقدمة:

لقد عرف عبد الحميد بن باديس بأسلوبه الفذّ، ولغته الرّصينة، وقد ساهمت البيئة التي نشأ فيها على صقل موهبته وتكوين شخصيته، الشيء الّذي جعله يتمسّك بهويته العربية الإسلامية، ويعمل جاهدا على حماية مقوّمات الشعب الجزائري انطلاقا من تمجيده للغة العربية والدّين الإسلامي، ومقته للاستعمار الفرنسي، فعمل على بناء الفرد الجزائري انطلاقا من المحافظة على ثقافته ومبادئه، مستلهما كلّ هذا من الكتاب والسنة النبويّة الشّريفة.

ومن خلال التطرّق إلى الحركة الأدبية عند الشيخ عبد الحميد بن باديس فإنّنا نجده قد ترك إرثا أدبيّا يقتدى به من حيث الكتابة و النقد الأدبي، إضافة إلى كونه فقيها بأمور الدين و السنّة، وخير دليل على هذا هو ذلك الدّور الفعّال الذي قام به من أجل تأسيس حركة إصلاحية شاملة تعنى بالشعب الجزائري، وهذا ما تبلور في تأسيسه لجمعية العلماء المسلمين سنة 1931 م رفقة مجموعة من مشايخ وعلماء الجزائر كالبشير الإبراهيمي والطيب العقبي ومبارك الميلي ..وغيرهم؛ هذه الجمعية التي سعت للمحافظة على مقوّمات الشعب الجزائري من لغة ودين وكانت مناهضة للاستعمار الفرنسي، والجانب الذي نعالجه في هذه الورقة البحثية مرتبط برؤيته النقدية والمناهج التي اعتمدها في دراسته للأدب العربي عامة والجزائري آنذاك خاصة، إضافة إلى أمور الدين و السنّة.

فالدراسة الأدبية عنده اشتملت النثر المتمثل في فن المقالة والخطابة، والشعر التقليدي، فكان له آراء نقدية نابعة من ثقافته الإسلامية، حيث انتهج طريقة القراءة الوصفية والتّحليلية لكتابات الأدباء والعلماء، والشيء الّذي ميّز رؤيته النّقدية هو براعة تحليله، ودقّة نظرته للكتابة بصفة عامّة، ولا ننسى حكمه على أقوال العلماء في دراسة التفسير وقراءة الحديث النبوي، ومن هذا المنطلق يمكننا طرح الإشكالية الآتية: ما هي القضايا النقدية التي عالجها عبد الحميد بن باديس؟ وماهي مرجعيات ممارسته النقدية؟ وما أهمّ المناهج التي اعتمدها في رؤيته النقدية للأدب الجزائري؟

2. التعريف بعبد الحميد بن باديس[1]:

هو عبد الحميد بن باديس الصنهاجي .ولد بمدينة قسطينة عاصمة الشرق الجزائري سنة 1889م، وتوفي سنة1940م، وهو واحد من رجالات الإصلاح في الجزائر.

وقد نشأ ابن باديس في بيئة علمية، إذ حفظ القرآن وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ثم تتلمذ على يد الشيخ أحمد أبو حمدان الونيسي، فكان من أوائل الشيوخ الذين كان لهم أثر طيب في اتجاهه الديني.

ويعدّ الشيخ شخصية غنية ثرية، ومن الصعوبة في حيز ضيق من الكتابة الإلمام بكل أبعادها وآثارها؛ فهو مجدد ومصلح يدعو إلى نهضة المسلمين ويعلم كيف تكون النهضة، وهو عالم مفسر، فقد فسر القرآن كله خلال خمس وعشرين سنة عبر دروسه اليومية، كما شرح موطأ مالك إبّان هذه الفترة، وهو صحفي يكتب في المجلات والجرائد التي أصدرها عن واقع المسلمين وخاصة في الجزائر، ومناضل يهاجم فرنسا وأساليبها الاستعمارية، ويشرح أصول السياسة الإسلامية. وقبل كل هذا هو المربي الذي أخذ على عاتقه تربية الأجيال في المدارس والمساجد، فأنشأ المدارس واهتم بها، بل كانت من أهم أعماله، وهو يقوم بتسيير شؤون جمعية العلماء، ويسهر على إدارة مجلة الشهاب ويتفقد القاعدة الشعبية باتصالاته المستمرة.

ولا ينسى ابن باديس أبداً وصية هذا الشيخ له" :اقرأ العلم للعلم لا للوظيفة"، بل أخذ عليه عهداً ألا يقرب الوظائف الحكومية عند فرنسا. وقد عرف دائماً بدفاعه عن مطالب السكان المسلمين في قسنطينة.

وقد أسس عبد الحميد بن باديس جرائد عدّة ضمّنها طروحاته ورؤاه لمختلف القضايا الوطنية والقومية، والتي كانت تعدّ منبرا لقلمه وأفكاره وتقويمه للفرد والمجتمع في الجزائر والوطن العربي، ومنها:

1. جريدة "المنتقد": التي أسست سنة 1926 م، والتي كان شعارها " لسان حال الشباب الناهض في الجزائر"، والتي غير شعارها فيما بعد إلى" الحق فوق كلّ أحد والوطن قبل كلّ شيء".

2. جريدة "البصائر": التي أسست سنة 1935، وكان شعارها" لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين".

3. مجلّة "الشّهاب" / 4. جريدة السنة: سنة 1933

3. المرجعيات والقضايا النقدية عند عبد الحميد بن باديس:

إنّ للشيخ عبد الحميد - كباقي أعضاء جمعية العلماء المسلمين – قضايا نقدية لها مرجعياتها، وقد تمثلت هذه المرجعيات في المرجعية الدينية، إذ استلهم مبادئه وأسس تفكيره من الدين الإسلامي، ومن رؤية نقدية كانت متلازمة مع الرؤية الإسلامية سواء للفكر أو المجتمع، وخاصة فيما يخص بناء الفرد الجزائري من أجل المحافظة على هويته وثقافته.

أمّا المرجعية الثانية فهي مرجعية مشرقية بالدرجة الأولى، لأنّه اعتمد كغيره من أعضاء الجمعية على أدب ونقد وشعر المدرسة المشرقية التي ترأسها محمد عبده، وهذا ما جعل الأدب الجزائري امتدادا طبيعيا للأدب العربي الذي كان يعبّر عن قضايا العروبة والإنسانية، ومن هنا عمد عبد الحميد بن باديس وبقية أفراد الجمعية إلى بناء النهضة الفكرية والأدبية الجزائرية التي تأخذ مضامينها من الدين الإسلامي والأوضاع المعيشة في المجتمع الجزائري على وجه الخصوص، وقد سطع نجمه في الكتابة و النقد معا واهتمّ بالأدب وماهيته "لأنّ الأدب يمثّل الانطلاقة الشعورية العالية في ثقافة ما، ويحتاج دائما إلى الصّقل و التّجديد بالمناقشة و النّقد حتّى لا يتجمّد ويصبح يدور حول نفسه"[2].

لأن الأدب هو رسالة الأديب من خلاله يعبر عن شعوره ومجتمعه وثقافته، لكن في نفس الوقت لا بدّ من صقله أي تنقيحه والسير به نحو التجديد من خلال المناقشة والقراءة ليصل إلى الأفضل وتصبح له غاية جمالية وخلقية، وذلك لا يكون إلا عن طريق النقد.

كما رأى عبد الحميد بن باديس أنّ جوهر التغيير الاجتماعي والإصلاح النّفسي والخلقي، يقوم على أساس النقد، والحركة الإصلاحية والفكرية في الجزائر قامت على الصراع بين ظاهرتين: ظاهرة النقائص والعيوب، وظاهرة الفضائل والاستعداد النّفسي لتقبّل الحقيقة"[3]، فالنّقد هنا أصبح يقوم بدور كبير في تصحيح الأوضاع وتغيير الفكر ورسم طريق الأدب الجزائري، وكل هذا كان الرؤية النقدية الصحيحة عند عبد الحميد بن باديس، وحسن بصيرته للأوضاع الاجتماعية و الفكرية عند الفرد الجزائري، وكلّ هذا جعل التفكير النقدي عند ابن باديس يقوم على الصراع بين الاستعمار ومخططاته التي تهدف إلى تجهيل وتضليل الشعب، وبين الإصلاح الذي يسعى إلى تجسيده.

1.3. الرؤية النقدية عند عبد الحميد بن باديس:

تعدّ الرؤية النقدية عند الأديب تشكيلا لنظرته للأدب بشكل عام وتمييز جيده عن رديئه، وهذه الرؤية النقدية مرتبطة بعدّة مناهج يمكن البناء عليها وتقييم العمل الأدبي سواء كان نثرا أو شعرا، وقد ظهرت هذه المناهج النقدية مع ظهور الأدب ولولا الأدب لما كان هناك نقد لهذه الأعمال ، وعبد الحميد بن باديس يعدّ رجلا إصلاحيا من الدرجة الأولى ، فقد كان يقيسها بأمور الدين و السنة، ومن المدافعين عن مقوّمات الشعب الجزائري، وانتمائه لأسرة دينية جعله ينحو منحى المصلح و المرشد والناقد لأمور المجتمع و الفرد خاصة، فسعى إلى إصلاح الفرد وتثبيته على مقوّمات العقيدة و الدين الإسلامي بالمحافظة على ثقافته وعروبته بالدرجة الأولى. وقد اعتمد في دراسته للأدب على منهجين أساسيين هما النقد اللغوي والأخلاقي بالدرجة الأولى إضافة إلى نقده الإصلاحي والاجتماعي.

2.3. النقد اللغوي والأخلاقي عند عبد الحميد بن باديس:

كان للنقد اللغوي مكانة مهمة في فكر وأعمال عبد الحميد بن باديس، خاصة في إطار جهوده لإحياء اللغة العربية ومقاومة التأثيرات الاستعمارية على الثقافة الجزائرية، الشيء الّذي جعله يوليه أهمية قصوى بغية تكريس مكانة اللغة العربية وتدريسها للفرد الجزائري ، وبتعميمه لها سيسهل فهم كتاب الله عزّ وجلّ، وهذا ما جعل شعار الجمعية " الإسلام ديننا والعربية لغتنا و الجزائر وطننا" وكلّ هذا يلخّص مقوّمات الشخصية الجزائرية، فعمل على إنشاء المدارس الخاصة بتعليم اللغة العربية، وقد أثرت بالفعل هذه الجمعية على الحياة الفكرية و الاجتماعية في الجزائر، ممّا مكّنها من تغيير الأوضاع السائدة آنذاك.

وقد عمل عبد الحميد بن باديس على حماية اللغة العربية باعتبارها مكونا أساسيا من مكونات الهوية الوطنية الجزائرية، وليست مجرّد وسيلة للتواصل فقط، كما رفض سياسة الاستعمار القائمة على تغريب الفرد الجزائري من خلال محاربة الاستعمار للغة العربية، فقام بتأسيس مدارس حرّة تُعنَى بتعليم هذه اللغة التي تعمل على حفظ التراث الثقافي والدّيني للشعب الجزائري، كما سعى إلى تطويرها من خلال تحسين المناهج و المصطلحات التي تسير مع تطوّر العصر، ونقد المناهج التربوية وطرق التدريس، واقترح تدريس اللغة العربية والنحو والصرف، وتاريخ الأدب العربي والإنشاء وحسن الأداء في القراءة والإلقاء[4]، وكان رافضا للأدب الاستعماري الذي يكتب باللغة الفرنسية، و الذي رأى فيه فرضا لثقافة المستعمر وطمسا للثقافة العربية.

وتفكيره النقدي كان مطابقا للرؤية الإسلامية في النّقد، وذلك باعتبار أنّ هذا التوجّه هو" وزن الأعمال الأدبية بميزان الأدب في صورته النموذجية للتّعرف على مكانه من تلك الصورة تمهيدا لتقويمه، وهذا يعني أنّ النّقد الأدبي عملية مزدوجة، يعنى شقها الأوّل بالتعرّف على الصّورة المنشودة إنسانيا للعمل الأدبي، ويقوم شقه الثاني على مطابقة ما بين يديه من واقع أدبيّ على ما يطمح إليه الإنسان السويّ من ذلك العمل، لبيان أوجه التوافق وأوجه التخالف و النقص"[5]، و هذا ما جعل علماء الجمعية وعلى رأسهم عبد الحميد بن باديس ينحون منحى جماليا في رؤيتهم النقدية للأدب ولا يهتمون فقط بالوعظ والإرشاد، وقد كتب عبد الحميد بن باديس مقالا بعنوان "الفنّ الأدبي في الحديث النبوي" وقد عرّف فيه الفنّ على أنّه" إدراك صفات الشيء على ما هي عليه من حسن وقبح إدراكا صحيحا"[6]، ومن هنا يتبيّن لنا أنّ ابن باديس يرى أنّ الفنّان والأديب هو ذلك الإنسان الّذي يدرك صفات الشيء الحسنة و القبيحة إدراكا صحيحا، ويكون معبّرا عن الواقع في العالم الخارجي، وينظر إليه على أنّه مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي الذي يعيشه الأديب، وقد ربط ابن باديس في نقده للأدب والمجتمع بين القيم الجمالية والأخلاقية الدينية، وشجّع على كتابة الأدب الجزائري بلغة بسيطة هادفة، على أن يكون الأدب وسيلة لمواجهة القوى الاستعمارية، ورفع الوعي الوطني بين أفراد الشعب الجزائري، فقام بتدعيم الحركة الأدبية التي تسعى إلى إحياء الأدب العربي في مجال الشعر و القصّة التي تعبّر عن الثقافة الجزائرية وتحمي مقوّمات الوطن، ورأى أنّ "الأدب هو سلاح الفكر و اللغة هي سلاح الأدب" ،فبالأدب نصنع الفكر ونحافظ على ثقافتنا ونحارب الفكر الغربي المتسلّط على أذهاننا، واللغة هنا أدّت دورا حاسما في المحافظة على هويّتنا، ومن ثَمّ تعدّ سلاحا قويما في ردع الثقافة الأجنبية.

كما اهتمّ عبد الحميد بن باديس بالقيم الجمالية والأخلاقية في الكتابة الأدبيّة، وأولاها أهمية كبيرة، حيث نزل منزلة البلاغيين و النّقاد وذلك بضرورة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ،وضرورة محاكاة ومطابقة الأدب للواقع الخارجي، وبرجوعنا لمفهوم كلمة الفنّ عند العلاّمة نرى أنّه وقف في مفهومه وتعريفه على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، واشترط أن يكون التّصوير فيه مطابقا للواقع، ورأى في الفنّ على أن يكون مذهبا منطقيا يتّصل بالحقّ أكثر من اتّصاله بالإبداع الفنّي، لأنّ المطابقة للواقع هنا تشبه المحاكاة عند أرسطو "فالواقع هو أنّ الفنان يبدع الصور ويضفي على الأشياء أخيلة وظلالا ذاتية ما كان لها أن تعتبر مطابقة للواقع الخارجي أو محاكية له"[7] ، فالتصوير في نظره هنا هو بمثابة تقريب الصورة أو الرسالة المراد إيصالها إلى الفرد، وأن تكون هذه الصورة محاكية لواقعه الخارجي.

ولم يغفل عبد الحميد بن باديس عن عنصر اللّذّة التي تحصل للمتذوّق، وقد أضافه إلى عناصر الصورة الأدبيّة الفنيّة، إذ هي التي تدخل البهجة والانشراح والصفاء على الإنسان، خاصّة وأنّ الفرد الجزائري قد عانى من ويلات الاستعمار الفرنسي، فرؤيته النقدية للأدب وللكتابة سايرت حركته الأدبية ورؤيته لواقع الأدب عامّة وللأدب الجزائري بخاصة، وقد وضع النقد الفني و اللغوي في المرتبة الثانية بعد النّقد الأخلاقي المرتبط بقيمة الأدب الموجّه للقارئ، فمن الطبيعي حسب رؤيته النقدية أن يؤثّر هذا الفنّ الأدبي على المتلقّي فيساهم في تقويم الأخلاق عنده، ويعطيه اللذة من خلال التلقي وتناول مواضيعه ،خاصة الأدب الذي يدعو إلى الإصلاح وإرشاد الأمّة. وبما أنّ عبد الحميد بن باديس كان مربيّا ومعلّما فقد بيّن لنا دور تربية الذوق الجمالي وأهمية غرسه في

النفوس، لكي يدرك المتلقي قيمة هذا الكون، ويشعر بآيات جماله، ولكونه حافظا لكتاب الله عزّ وجلّ ودارسا ومتفقّها في سنّة نبيّه صلى الله عليه وسلّم، فهو يدرك جيّدا قيمة التصوير الفني وجمال الأسلوب وبلاغته، وهذا يدلّ على رفعة وسموّ اللغة العربية والفنّ الأدبي على العموم.

وقد ربط عبد الحميد بن باديس بين القيمة الجمالية والقيمة الخلقية في الكتابة، إذ يرى أنّ الدعوة إلى الجمال في جميع مظاهر الحياة يجب أن تكون في إطار العفاف و الفضيلة، وهنا يشير إلى رؤيته النقدية للأدب وهي مطابقة لرؤية الإسلام النقدية التي تدعو إلى ربط الجمال بالأخلاق، وقد استدلّ على ذلك ممّا يحمله القرآن الكريم و الحديث النبوي في ربطه للقيمة الجمالية بالقيمة الخلقية، وهنا يتبيّن لنا منهجه الأخلاقي القويم الذي اعتمده في دراسة الأدب العربي و الجزائري، ومن آثار عبد الحميد بن باديس ورؤاه النقدية، ردّه على الأدباء العرب ومنهم الأديب والدكتور صروف ممّا قرأه في مجلّة" المقتطف" الشهيرة من مقال تحت عنوان" مفاخر أور الكلدانيين "، والذي جاء فيه وسم بعض القصص القرآني بـ " الخرافة "، ومنها قصة عاد التي رأى أنّ ما يحكيه القرآن حولها لا يتعدّى حدود السرد الخرافي، فأجابه عبد الحميد بن باديس بردّ مفحم، قوامه العقل و المنطق و الحجّة و العلم الصحيح، وممّا قال فيه: "لا شكّ أنّ كاتب المقال ليس مسلما، كما لا نرتاب أنّه لا يجهل قصة عاد من قصص القرآن، فتعبيره عنها بالخرافة من سوء الأدب الّذي ما عهدناه في المرحوم الدكتور صروف الّذي كان في علمه وفلسفته وشدّة تحقيقه دينا صحيح التديّن ،محترما لكتب الأدباء"[8] الشيء الذي جعل عبد الحميد بن باديس يقوّم كلامه على ضوء القرآن و التاريخ بأسلوب علمي واضح كي تتضح الرؤية و القراءة عند القارئ، فيصحح المفاهيم ويصبو إلى الحقيقة من خلال نقد عقلاني منطقي معتمدا في ذلك على الحجة والتأسيس الصحيح للمعلومة.

ولم يقف الإمام عبد الحميد بن باديس فقط عند هذا الحدّ بل ذهب إلى تقويم الشعر العربي ونقده بما يناسب الجانب العقلي و الواقعي في استخدام الشعراء لبعض الألفاظ والوقوف على جمالية ودلالة معانيها، وهنا نجده يستشهد بقصيدة كعب بن زهير التي ألقاها أمام الرسول صلّى الله عليه وسلّم "فوصف المرأة والماء الذي امتزج بالخمرة و الناقة وصوّرها تصويرا فنيا، ولم ينكر عليه لأنّه لم يكن يصف شخصا معينا يؤدي وصفه إلى إثارة الشهوة البهيمية نحوه، وإنّما للنّفوس البشريّة صورها الجمالية، وتنمّي فيها قوّة الشعور والذّوق"، فعبد الحميد بن باديس في رؤيته النقدية لهذا الوصف يؤكّد على ضرورة وجود الصورة الفنية والذوق الجمالي في الإبداع الفني غير الخادش للحياء، لكنه في نفس الوقت كان يركّز على المضمون الأخلاقي والديني في الكتابة وفي الفنّ الأدبيّ، واهتمّ بجماليات اللغة وقد وجّه رسالة للأدباء الجزائر وشعرائها وقال: "على أدباء الجزائر وشعرائها أن يدرسوا آدابهم العربية، وأن يطالعوا الآداب الغربية في اللغة الفرنسية، وأن يمازجوا قومهم ليألموا وينعموا . إن كان نعيم . معهم، لتكون لهم منزلة أدبية عالمية، وآثار بارزة في الحياة الجزائرية"[9]، لأنّ نظرته لكتابة الأدباء و الشعراء الجزائريين أنّهم كانوا يميلون للكتابة باللغة الفرنسية، فدعاهم إلى تعلّم فنون اللغة العربية وأن يدرسوها وفي نفس الوقت طالبهم بمطالعة الآداب الغربية في الفرنسية، لكي تكون لهم منزلة عالمية و يدافعون على لغتهم الأصلية ويعرفون بالثقافة الجزائرية وبهويتها عن طريق الكتابة باللغة الأجنبية، ويوصلوا رسالة الشعب الجزائري وصوته إلى البلدان الغربية ، كما اهتمّ بالشعر كوسيلة تعليمية وإصلاحية، وقد أثنى على عدّة

شعراء مثل المتنبي و البوصيري مثلما أثنى على كعب بن زهير، لكنه في الوقت نفسه ينتقد الشعر الذي يخلو من الحكمة والفائدة، وقد رأى في الخطّ العربي جزءًا من الهوية الإسلامية و الجمالية بما أنه يمثّل رسم اللغة العربية ويحارب التأثير الغربي، وقد حارب الشعر الماجن بشدة لأنّه يتنافى مع القيم والأخلاق الإسلامية، وكلّ هذا يدلّ على اهتمامه الخاص باللغة العربية وعلومها، فنقده اللغوي الّذي مارسه ارتبط خاصة بتفسير القرآن الكريم فكان يدقّق في شرح الألفاظ والتراكيب اللغوية للمفسرين منتقدا بعض المفسرين الذين حملوا بعض الآيات على غير وجهها الصحيح، لأنّ هذا التفسير فيه تضليل للأمة الإسلامية، ومبدأه كان المحافظة على الدين كاملا وبوجه صحيح.

كما اهتمّ بالسياق في الخطاب من خلال التركيز على المرسل والمرسل إليه وفحوى الرسالة، وشدد على ضرورة حملها لموضوع الإصلاح والتعليم، في نفس الوقت، كما جمع بين عنصري التأصيل والتفعيل في تفسير القرآن، ودعا إلى الحفاظ على الهوية الثقافية والعربية في كتابة الأدب لأنها تشكّل البيت القصيد في حماية اللغة العربية ومحاربة لغة المستعمر.

ويعدّ عبد الحميد بن باديس من المشيدين بالشّعر العربيّ التّقليديّ الّذي اعتبره جزءا من الثروة الأدبيّة، فقد قال: الشعر العربي هو صحائف ثروتنا الأدبيّة، وصور آدابنا، ومرجع شعرائنا في اللغة والأمثال"[10]، فالشعر العربي التقليدي يعدّ مرجعا أدبيّا لهويّتنا العربية، ولا يمكن الخروج عن عمدته وأسسه أثناء الكتابة، فهو رمز الأدب العربي، لأنّ بنية القصيدة العربية فيه لها دلالة ثقافية وعربية من حيث البناء كما الدّلالة اللغوية، فكان ينتقد من يخرج عن طبيعته، ومن ذلك تعليقه على قصيدة محمّد العيد آل خليفة، فقد تساءل عن استخدام الشاعر للرمز فيها خاصّة رمز "ليلى"، ويشير إلى أنّ الشاعر لم يكن له "قوس" بل مروحة"، ممّا يعكس اهتمامه بدقّة التّعبير اللغوي وحسن اختيار اللفظ و الرّمز في الشعر، وقد كان دائما يصبو إلى الحفاظ على نقاء اللغة العربية، ويحبّ صفوة كلماتها.

وقد لقّب عبد الحميد بن باديس الشّاعر محمد العيد آل خليفة بـ" أمير شعراء الجزائر" وأشاد بشعره الّذي كان يعبّر عن قضايا الوطن والأمّة والدّين ويحافظ على اللغة العربية وأصالتها، وهذا هو مبتغى عبد الحميد بن باديس ومبتغى رؤيته النقدية للفن والأدب، لأنّه كان مناهضا للأدب الغربي ولسياسة الاستعمار الفرنسي. وهذا الشيء هو الّذي جعل محمد العيد آل خليفة يكتب قصيدة بعنوان "ياقبر" يرثي فيها عبد الحميد بن باديس وهذا دليل على شدّة تقديره للإمام، أبرز ماجاء فيها عندما وقف على قبره:[11]

ياقبر طِبــتَ وطــابَ فيــكَ عــير هل أنت بالضيف العزيز خبير؟

هذا ابن باديس الإمام المُرتَضَى عبد الحميد إلــى حِمَاكَ يَصِيرُ

وهذا ممّا يدلّ على سموّ مكانة عبد الحميد بن باديس عند أدباء الجزائر، وهم يردّون له جزءا من فضله عليهم، لأنّه كان يعدّ موجّها لهم بآرائه النقدية ومرشدا ومصلحا، كيف ولا وقد علّمهم قيمة الذّوق الجمالي والتصوير الفنّي من خلال كتاباته ونقده البنّاء الّذي عاصر إنتاجهم في تلك الحقبة الزمنية.

كما شملت رؤيته النقدية الشعر و النثر معا، فقد اهتمّ بشكل كبير بجوانب اللغة و الأسلوب في كتاباته الثريّة وخاصّة في فنّ المقالة و الخطابة، وقد ركّز في الوقت ذاته على توظيف اللغة العربيّة الفصحى بأسلوب

بسيط وواضح، كيف لا وهو الذي يتميّز أسلوبه في الكتابة بالسلاسة والعذوبة و السهولة، وكان لا يستعمل السجع ولا يتكلفه، رغم ثراء دراسته لعدّة كتب منها "الأمالي" لأبي علي القالي و"ديوان الحماسة" لأبي *تمام* حبيب بن أوس الطائي، وديوان المتنبي، ومقدمة ابن خلدون، و"دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني ، واعتمد على الحجج العقلية و المنطقية في نقده، وكان يدعو إلى تجنّب التكلّف في الخطاب والتعقيد في الكتابة من أجل إيصال الرسالة خاصّة الأدبيّة و الإصلاحية منها بشكل فعّال، وهذا لا يعني أنّ عبد الحميد بن باديس كان متعصّبا للغة العربية، فبصيرته بالأمور جعلته يدعو الأدباء الجزائريين إلى تعلّم اللغات الأجنبية لأنّه كان يرى "أنّ الذي يحمل عَلَمَ المدنيّة العصريّة اليوم هو أوروبا، فضروريّ لكلّ أمّة تريد أن تستثمرَ ثمارَ تلك العقولِ النّاضجة .. أن تكونَ عالمةً بِلُغَةٍ حيّةٍ من أوروبا.[12] ، وهذا يعني أنه كان منفتحا على الثقافات الأخرى، وكلّ ما من شأنه خدمة الأدب العربي فلا بدّ أن يستلهم منه الأفكار التي تسمو بلغته وثقافته حتى لا يعيش بمعزل عن بقية شعوب العالم، وقد كان عبد الحميد بن باديس يدعو تلامذته إلى الاهتمام بالقديم من أجل بناء رؤية جديدة، القديم في محاسنه ورزانته، و الجديد في طلاقته وتطوّره، وهنا نجد أنّ فكره النّقدي كان منفتحا على الجديد بعد غربلته والأخذ منه ما يساعد على تطوير التّجربة الأدبية في الجزائر.

4. خاتمة:

تميّزت الرؤية النقدية عند عبد الحميد بن باديس بكونها رؤية إصلاحية تربط بين الأدب و القيم الأخلاقية، وحملت نفس الرؤية الإسلامية للنقد، ومقاربته كانت شاملة ومتكاملة، حيث لم يقتصر اهتمامه على جانب دون آخر في رؤاه النقدية، وقد أولى اللغة العربية و الكتابة بها مكانة خاصة، معتبرا إياها الركيزة الأساسية للهوية الوطنية، ووسيلة فعالة لنقل القيم و المبادئ الإسلامية، مما جعله يدعو إلى الحفاظ على سلامة اللغة وتطويرها حتى تواكب الجديد في الفكر والأدب، محذرا في نفس الوقت من مغبّة طمسها وتهميشها، أمّا من الناحية الأخلاقية فقد ركّز على ضرورة أن يكون الأدب والفكر مرآة تعكس القيم الإسلامية والإنسانية على حدّ سواء، مؤكّدا على أنّ الإنتاج الأدبي يجب أن يسهم في بناء مجتمع متماسك من حيث الأخلاق والقيم، وتوجّهه النقدي هذا لم يكن منفصلا على مشروعه الإصلاحي، بل كان جزءا لا يتجزأ من سعيه لإحياء الأمة وتحريرها من الاستعمار و التبعية الثقافية، وفي الأخير يمكن القول إنّ رؤية ابن باديس النقدية قد ركّزت على الجانب اللغوي والأخلاقي في الفكر والأدب، وهذا ما جعلها تخدم مصلحة أمته وتحافظ على هويتها وثقافتها.

الهوامش

[1]- مسعود فلوسي : الإمام عبد الحميد بن باديس، لمحات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده ، دار قرطبة، الجزائر، ط1 ، 2006 ، ص 13-45.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1983،ص31)

[3] - عبد الحميد بن باديس: ،آثار ابن باديس ، ج1 ، إعداد وتصنيف : عمّار الطالبي ، الشركة الجزائرية، الجزائر، ط3 ،1997، ص71

[4] - ينظر: المصدر نفسه، ص110-113.

[5]- فرح مجاهد عبد الوهاب: من مكتبة الأدب الإسلامي، فنّ الأدب الإسلامي للدكتور إبراهيم عوضين، مجلة الأدب الإسلامي،م04،ع03،ص48،

[6] - عمار طالبي: النزعة الإنسانية والجمالية عند عبد الحميد بن باديس، مجلة الأصالة، س02،ع07،ربيع الأول 1392 هـ/ماي1972 م، ص39

[7] - ينظر علي محمد محمد الصلابي، موقف ابن باديس من بعض القضايا المعاصرة له، مجلة الشروق الإلكترونية، https://www.alsalabi.com/article/2830
تاريخ النشر ،2019.10.16 ، تاريخ الاطلاع: 02-04-2025.

[8] - المرجع نفسه .

[9] - باديسيات.. أقوال مأثورة ومواقف مشهورة عن الإمام عبد الحميد بن باديس، ترتيب : ربيع شملال ، المجلد1، دار الإمام مالك ، البليدة ، الجزائر ، د.ط ، د.ت ، ص29.

[10] - الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والإصلاحية بالجزائر - المجلد 1 - الصفحة 18 - جامع الكتب الإسلامية، الموقع الإلكتروني: https://ketabonline.com/ar/books/96570/read?part=1&page=23&index=641703
تاريخ الاطلاع : 03-04-2025.

[11] - محمد العيد آل خليفة : ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى، عين مليلة ، الجزائر ، 2010 ، ص430.

[12] - باديسيات .. أقوال مأثورة ومواقف مشهورة عن الإمام عبد الحميد ابن باديس، ص 31 .

المصادر والمراجع

أ – الكتب :

1- باديسيات.. أقوال مأثورة ومواقف مشهورة عن الإمام عبد الحميد بن باديس، ترتيب: ربيع شملال، المجلد1، دار الإمام مالك، البليدة، الجزائر، د.ط ، د.ت.

2- عبد الحميد بن باديس : ،آثار ابن باديس، ج1 ، إعداد وتصنيف: عمّار الطالبي، الشركة الجزائرية، الجزائر، ط1997،3.

3- أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983، ص31)

4- محمد العيد آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2010.

5- مسعود فلوسي: الإمام عبد الحميد بن باديس، لمحات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 2006.

ب – المقالات :

-.عمار طالبي: النزعة الإنسانية والجمالية عند عبد الحميد بن باديس، مجلة الأصالة، س02، ع07، ربيع الأول 1392 هـ/ماي1972 م.

- فرح مجاهد عبد الوهاب: من مكتبة الأدب الإسلامي، فنّ الأدب الإسلامي للدكتور إبراهيم عوضين، مجلة الأدب الإسلامي، م04، ع03 ،

ج – المواقع الإلكترونية :

1- الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والإصلاحية بالجزائر - المجلد 1 - الصفحة 18 - جامع الكتب الإسلامية ، الموقع الإلكتروني : https://ketabonline.com/ar/books/96570/read?part=1&page=23&index=641703

2- علي محمد محمدالصلابي، موقف ابن باديس من بعض القضايا المعاصرة له، مجلة الشروق الإلكترونية، https://www.alsalabi.com/article/2830